

دراسات محكمة

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

شهرزاد بلعربي

أستاذة الأدب العربي

جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر

02 مارس 2022





قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

تقديم:

يعتبر الخطاب الساخر الذي اتخذته شعوب العالم لاسيما الشعب العربي للتعبير عن المأساة التي يواجهها اليوم في زمن جائحة كورونا، أسلوبا مفارقا لماهية الحدث، فقد بات الخطاب الأكثر رواجا وتداولاً خاصة عبر منصات التفاعل الاجتماعي، إلا أن ذلك لم يرق للكثير من الناس المثقفين منهم وحتى العامة، ففي رأي الكثير أنّ في مثل هذه الظروف العصيبة تعد السخرية عدائية، باعتبار أنّ الأمر جلل، لذا لا بد من أن ننظر له بجديّة أكثر حتى نكون أكثر وعياً به، لكن رغم كل هذه الاستيئات يبقى هذا النوع من الخطاب بأشكاله المتعددة يتصدر قائمة الخطابات التي عبرت عن جائحة كورونا وتداعياتها.

تعد الصورة الكاريكاتيرية من الأشكال الساخرة التي استطاعت أن تلامس إلى حد بعيد مأساة الوباء من عدة جوانب نفسية واجتماعية واقتصادية وحتى سياسية سواء بتوصيف الجائحة توصيفا متفردا أو بالمساهمة في نشر الوعي الفردي والجماعي أو بمحاولة التخفيف من الآثار النفسية المريعة التي خلفتها الشائعات المغررة بين أوساط العامة، وإنّ هذا التوجه المفارق الذي اتخذته الفنان العربي للتعبير عن هذه المأساة التي باتت تؤرق وجوده يصدع بسؤال مهم وهو:

كيف أبرز الخطاب الساخر المكونات الدلالية لموضوع "جائحة كورونا" من خلال الفضاء الفني الكاريكاتيري؟
للصورة الأثر الواضح على الرأي العام وذلك من خلال استهدافها فئة كبيرة من المجتمع وبمستوياتها المختلفة فـ من خصائص الصورة أنها تستجيب إلى بلاغة تخصها أبعد ما تكون عن الخطاب البرهاني أو الإقناعي لصالح ما يمكن أن نصطلح عليه بالاستمالة. تمكن الصورة من الولوج إلى عوالم واقعية أو متخيلة، وإلى عوالم مرئية أو غير مرئية، وهي في كل الأحوال تُلبّي أعمق الحاجات الإنسانية كالحاجة إلى التمثيل الذاتي والحاجة إلى تمثيل العالم، وإلى تمثيل الواقع من أجل السيطرة عليه والتحكم فيه تارة أو الاستمتاع والاحتفاء به تارة أخرى¹ ومنها تتجلى أهمية نوعية الصورة المقدمة للمتلقّي، فيرتكز على الفئة الاجتماعية المستهدفة وعلى الهدف من عرضها لكن إن كان الهدف عاما، والفئة غير معينة فإنّ الصورة هنا تركز على ما تشترك فيه الطبيعة البشرية من حاجات أساسية نفسية منها وبيولوجية، ولعل الصورة الكاريكاتيرية هي وحدها التي يمكنها أن تحقق هذه الحاجات لامتلاكها الجانب الهزلي الذي هو حاجة نفسية تخفف ظروف الحياة القاسية حتى يتمكن الانسان من إيجاد نفسه أمام واقع أليم.

بالإضافة إلى الجانب السخري الذي تتسم به الصورة الكاريكاتيرية هناك جانب آخر هو الجانب المرئي، الذي أصبح مادة يحيا عليها وبها الإنسان المعاصر لما "تتطلب اتصالا بشواغل الناس ومشاركاتهم من الأحاسيس والأفكار والأحداث لقد قرب العصر البشر بعضهم مع البعض الآخر، وربما يصبح ما يعانیه شخص في أمريكا الجنوبية مشابها لما يعانیه شخص آخر في آسيا. قد يتشابه العالم في الزي واستعمال الآلة والمعاناة من الضوضاء، التلوث

¹ - عبد العالي معزز، فلسفة الصورة، الصورة بين الفن والتواصل، إفريقيا الشرق، س2014م، ص146.



قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

الازدحام، الفقر، اللامبالاة، والموت"²، مما يؤهل هذا النوع من الخطاب أن يكون خطاباً إنسانياً فهو يخترق الحدود الثقافية، بل إنه يعمل كجسر تتمر عن طريقه الأفكار وتنمى به المعارف؛ لأن "النص المرئي تمثيل للواقع، إلا أنه في حقيقة الأمر خلق لواقع جديد من الزمان والمكان، ومن ثم فإنه يتميز بالحركية والتوتر وامتلاك إيقاعه الخاص"³، إذ تتصف اللغة المرئية عموماً بإمكانات لا حدود لها للوصول إلى الآخر دونما الحاجة إلى ترجمان.

إن فن الكاريكاتير خطاب يتطلب مهارة كبيرة في عدة اختصاصات أولها إتقان فن الرسم وأبعاده الدلالية، وثانيها إتقان فن السخرية؛ لأن هذا الفن ليس متاحاً لكل من أراد أن يشتغل عليه، فهو موهبة خاصة جداً، لذا نجد أن الذين يتقنون هذا الفن هم في الحقيقة قلة قليلة فهي تقوم على المغايرة، غايته النقد والتقويم والتأثير والتغيير، لا تتأتى لأي كان؛ فهي مهمة تحفها المخاطر، لا يخوض غمارها إلا من كانت له مهارة في الرسم مع القدرة على التخفي تحت ظل الرموز والإشارات الدلالية حتى يدرك مقاصده، ففي غالب الأحيان المواضيع التي يعالجها الكاريكاتير تسلط عليها عدسة الرقابة. ومع كل هذه المهارات التي يجب توفرها في الرسام الكاريكاتيري، يجب كذلك أن يكون على اطلاع واسع بحوثيات الموضوع المراد تناوله.

قبل الولوج إلى تحليل بعض نماذج الصور الكاريكاتيرية التي تناولت موضوع الوباء "كورونا فيروس" علينا أن نقف لنحدد مفهوم الخطاب الساخر وما يحمله الفن الكاريكاتيري من مقاصد.

ماهية الخطاب الساخر: السخرية قبل أن تكون خطاباً كان سلوكاً يتكون نتيجة مثير سلبي يعتقد السخر، فيحمل هذا السلوك على التعجب وإبداء النقد اللاذع الذي ينتج عنه الضحك، وجاء معنى السخرية في المعاجم العربية بعدة ألفاظ منها الهزء والمزح... غير أنه جعل للفظ في لسان العرب معنى واحداً "سخر منه وبه سخرًا وسخرًا ومسخرًا وسخرًا، وسخره وسخرًا وسخرًا: هزئ به"⁴، لكن العسكري في كتابه الفروق تحدّث عن الفرق بين المزاح والاستهزاء، حيث رأى "أنّ الإنسان يُستهزأ به من غيره أن يسبق منه فعل يُستهزأ به من أجله، والسخر يدلّ على فعل يسبق من المسخور منه، والعبارة من اللفظتين تدلّ على صحّة ما قلناه، وذلك أنّك تقول: استهزأت به، فتعدّي الفعل منك بالباء، والباء للإلصاق كأنّك ألصقت به استهزاء من غير أن يدلّ على شيء وقع الاستهزاء من أجله، وتقول سخرت منه فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله"⁵، وعليه نستنتج أنّ هناك فرق بين اللفظتين هزء وسخر فالأولى تكون غايتها الضحك والاستعلاء وتحقير المستهزاء منه دون الحاجة إلى فعل يتطلب الهزء بينما لفظ سخر فيكون نتيجة حتمية لسلوك سلبي فرض علينا التعجب والغرابة مما يدفعنا إلى جعله أداة للضحك.

²- عبد الرحيم ياسر، تاريخ الكاريكاتير، ضمن تموز مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية العرقية في الملو، العدد 54، شتاء 2012م، الكاريكاتير، ص 80.

³- صلاح فضل، قراءة الصورة وصور القراءة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، س 2014م، ص 16.

⁴- ابن منظور، لسان العرب، مادة (س خ ر)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج3، ص 259.

⁵- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تج: محمد باسل عيون السود، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، س 2002م، ص 384.



قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

يشهد مفهوم السخرية اضطرابا كذلك في الثقافة الغربية فقد جاء في قاموس أكسفورد بمعنى: "التخفي تحت مظهر مخادع والتظاهر بالجهل عن قصد، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- شكل من أشكال القول يكون المعنى المقصود منه عكس المعنى الذي تعبر عنه الكلمات المستخدمة، ويأخذ - عادة - شكل السخرية، حيث تستخدم تعبيرات المدح، وهي تحمل في باطنها الذم والهجاء.

2- نتاج متناقض لأحداث كما في حالة السخرية من منطقية الأمور.

3- التخفي تحت مظهر مخادع، أو الادعاء والتظاهر، وتستخدم الكلمة - بشكل خاص - للإشارة إلى ما يسمى ب "السخرية السقراطية" من خلال ما عرف بفلسفة السؤال، وكان سقراط يستخدمها ليدحض حجة خصمه"⁶.

منه يصعب تحديد مفهوم مصطلح السخرية تحديدا جامعاً مانعاً، سواء في اللغة العربية أو في الثقافة الغربية، إذ أنّ مفهوم السخرية كما عبر عنه البعض "مفهوم عائم غير متفق على حدوده الدقيقة"⁷ وترجع صعوبة تحديد مفهومها إلى تنقل مصطلح السخرية بين الفنون المختلفة، من فنون الأدب القصة والمسرح... وإلى الفنون التشكيلية النحت منها والرسم إلا أنّها اليوم في الصورة عامة والرسم خاصة أشد ارتباطاً لعدة أسباب لعل أهمها سهولة ممارسة وتطوير الرسم لمن كانت له هذه الموهبة، وسرعة إنجازه وبساطة أدواته وسهولة تداوله، لاسيما في عصر التقنية التي ساهمت بشكل كبير في تطوير أدواته وسهولة اقتنائه.

إنّ "هذا الاقتران بين السخرية والفنون التشكيلية والمقصود منها الرسم غالبا، أنجب (فن الكاريكاتير) والكاريكاتير بهذا المعنى، فن قديم جدا نشأ بنشوء الإنسان على الأرض، حيث لازالت كهوف (كامبرل) في فرنسا وكهوف جنوب الجزائر تحتفظ ومنذ ثلاثين ألف سنة مضت. على العديد من رسومات إنسان العصر الحجري، ذات النزعة الكاريكاتيرية الواضحة. كما نجد في الآثار الفنية لحضارات وادي الرافدين كالسومرية والأشورية والبابلية جذورا واضحة للكاريكاتير وكذلك الحال بالنسبة للحضارة الفرعونية وبقية الحضارات القديمة الأخرى كما عرفت الحضارة العربية الإسلامية، الرسم الساخر حيث نجد في رسومات الواسطي الكثير مما يدل على ذلك. وفي عصر النهضة رسم الفنان دافنشي الكثير من التخطيطات الكاريكاتيرية، ثم انتشر وشاع بعد ذلك في أوروبا.. إلا أنّه لم يوظف في الدعاية والجدل كسلاح، إلا في عصر الإصلاح الديني بتأثير (مارتن لوتر) في ألمانيا"⁸.

قد شهد مفهوم السخرية تطورا ملحوظا خاصة في عصرنا، لذا "حار الباحثون في وضع تعريف دقيق لكلمة الفكاهة، وذلك لكثرة الأنواع التي تتضمنها واختلافها فيما بينها. إذ تشمل السخرية والذم والتهكم والهجاء، والنادرة والدعابة والمزاح والنكتة. والتورية والهزل والتصوير الساخر (الكاريكاتير). والسخرية هي أرقى أنواع الفكاهة، لما تحتاج من ذكاء، وخفة ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب والفنانين الذين

⁶ - The Shorter oxford English Dictionary on Historical principles, prepared by William Little,H,W :Flower, J, Coulson, revised and Edited by C.T onios, oxford at the clarendon press (1956) P 1045.

⁷ - فاطمة حسين العفيف، السخرية في الشعر العربي المعاصر محمد الماغوط، ومحمود درويش، وأحمد مطر نماذج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، أربد، الأردن، 2017، ص16.

⁸ - ضياء الحجار، الكاريكاتير في الصحافة العراقية، ضمن تموز مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية العرقية في مالو، العدد 54، شتاء 2012م، ص113، 114.



قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

يهزؤون بالخرافات والعقائد المنحرفة والسلوكيات الخاطئة. وقد دخلت السخرية إلى معظم الفنون،⁹. وهذا ما حاول د:العمرى أن يوضحه من خلال قوله: "لقد حاول البلاغيون المحدثون تجاوز هذا الاضطراب بفتح الموضوع أقصى ما تسمح به بنيته ليستوعب أوسع مجال انطلاقا من أنساق بلاغية ذات قدرة تفسيرية. وقد جرى ذلك في حوار مع معطين: المتن النصي والآلية الحوارية"¹⁰، والمتن النصي "متن شاسع في اللغة وخارج اللغة (والذي خارج اللغة مثل الرسم الكاريكاتيري، والديكور المرافق للعروض الهزلية...)"¹¹، ومن هذا المنطلق البلاغي تتجسد قصدية الفن الكاريكاتيري.

مقاصد خطاب الصورة الكاريكاتيرية: من المعلوم أنّ كل خطاب يبني على القصيدة وإلاّ بات ضربا من العبث، ولا يستثنى من ذلك الخطاب الكاريكاتيري ف"الكاريكاتير المرسوم يمتلك أحيانا ما يوازي إمكانات الفنون اللفظية في إيصال الرسائل الفكرية والفلسفية والأدبية

بطريقة مميزة وخاصة ويمتلك أيضا كل ما يجعله فنا رفيعا في القدرة على التعبير والتأثير والجذب عدا كونه فنا جديرا بالمشاهدة قبل وبعد ذلك"¹²، وهذا لا يعني أنّ ما يمتلكه الفن الكاريكاتيري من مثيرات فنية هي التي قادتته إلى النجومية، فالواقع يثبت أنّ الخطابات الرنانة التي تعتمد على المؤثرات سرعان ما يتلاشى أثرها.

أما فيما يخص الكاريكاتيري المرسوم فيمكن القول بأنّه "ينتمي الى الفنون" الغرافيكية "والفنون التشكيلية، لأنه ببساطة تشكيل يعتمد بالدرجة الأساس على المفارقة البصرية في تقديم النص، وعلى الرغم من أن المفارقة موجودة بشكل عام في معظم الفنون ومنها الفنون التشكيلية..."¹³، فمنه ندرك أنّ المثيرات البصرية ماهي إلاّ وسيلة يتوسل بها الرسام لبلوغ مقاصده.

فهذه المفارقة تشكل خرقا سيميولوجيا، حين تمزج كل هذه المؤثرات في آن واحد دون الشعور بذلك التزاحم، وتصبح "الصورة الكاريكاتيرية لا تستحي من الوظيفة التواصلية الإبلغية للخطاب، حاله في ذلك حال أنماط عديدة من أنماط الصور وهو (أي الكاريكاتير) يهدف في محصلته النهائية إلى إحداث مفارقة: مضحكة حيناً ومحرزنة حيناً آخر، من خلال تشاكل الكلام (اللغة) وعناصر الرسم، (البصري) وبذلك فالصورة الكاريكاتيرية تتصف بكونها ذات طبيعة مكانية _ زمنية، تتابعية في الوقت ذاته تمتزج فيها رسائل الخطاب في جانبها البصري، بينما تتلو الرسائل بعضها بعضا في الجانب اللغوي التعليق، وبذلك تعد الخاصية الخطية وغير الخطية، توأما هنا دونما زيادات وعلامات اعتبارية. وهي كلها تثير في النهاية خطابا لغويا كأحد أهم نواتج عملية التلقي التي لا يمكن أن تتم دون لغة واصفة تحقق الفهم التأويلي"¹⁴. الذي هو من بين أهم مقاصد الخطاب التي تستنبط الحقيقة ضمن عملية مشتركة بين الرسام والمتلقي.

⁹ - نفس المرجع، ص 112

¹⁰ - محمد العمرى، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، ص 2012م، ص 85.

¹¹ - نفس المرجع، ونفس الصفحة.

¹² - كاظم شمهود، لمحات من تاريخ فن الكاريكاتير، ضمن تموز مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية العرقية في الملو، ص 78.

¹³ - كاظم شمهود، لمحات من تاريخ فن الكاريكاتير، ضمن تموز مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية العرقية في الملو، ص 77.

¹⁴ - ضياء الحجار، الكاريكاتير في الصحافة العراقية، ضمن تموز مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية العرقية في الملو، ص 100.

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

الصورة الكاريكاتيرية لجائحة كورونا: السخرية في الخطاب الكاريكاتيري ليست هدفا في حد ذاتها إنما هي تقنية لابد من وجودها لتحقيق الغايات التي ينشدها المبدع من خلال الصورة الكاريكاتيرية، فكلما التقت السخرية بالموضوعية يكون العمل ناجحا، فلا بد على المبدع أن يبحث في ثنايا مفارقات الموضوع وليس خارجه، وإن كان موضوع جائحة كورونا تتجلى فيه مظاهر المفارقات بداية من ظهوره وكيفية انتشاره والاختلاف حول وجوده كحقيقة أو مجرد وهم يسعى النظام العالمي الجديد إلى ترسيخه في عقولنا.

نشر الوعي بين أفراد المجتمع أهم مسعى يطمح هذا النوع من الخطاب بلوغه، بتوصيف الظاهرة وتحليل أبعادها، والوقوف على انشغالات المجتمع بمحاولة المبدع مشاركة الفرد حياته أيام الجائحة بطريقة توجي بالسخرية لكنها تتضمن رسائل قوية ترفع الهمم وتخفف عبء المأساة.

يعتبر المثير الاجتماعي من أهم المثيرات التي يشتغل عليها فن الكاريكاتير فهذا النوع من المثيرات يعطي دفعة قوية لتحقيق مسعى الخطاب.

فالموضوع الذي لا يهتم المجتمع عامة لا يلقي اهتماما فلا بد أن يكون الموضوع يلامس شريحة كبيرة من المجتمع بمعنى أن يكون موضوع رأي عام حتى يلقي صدى تجاوب مع الذي يتلقاه ويتفاعل معه.

فمعالجة موضوع جائحة "كورونا" لاقى زخما واسعا من التداول والتفاعل ويرجع السبب الأول في ذلك هو أنه موضوع الساعة، بحيث أصبح كل فرد تقريبا على هذه المعمورة يستيقظ على أخباره وينام عليها منذ أن ظهر هذا الوباء بـ "ووهان" إلى حد الساعة وهو متلهف لأن يسمع أي جديد يخص الموضوع، بمعنى أن المجتمع الإنساني لا يزال تحت وقع صدمة الحدث "جائحة كورونا"، هذا يفسر من جهة أخرى الأثر الذي تركه الخطاب الكاريكاتيري لموضوع "جائحة كورونا" على المجتمع.



أمينة الجحا، دنيا الوطن

فقد كانت الصورة الكاريكاتيرية مصاحبة للحدث منذ بداية ظهوره، ففي الصورة الكاريكاتيرية الموالية تظهر الكرة الأرضية على وشك السقوط؛ وذلك لأنها مشدودة بحبل ممسك بطرفه الآخر صورة فيروس كورونا وهو يجرها نحو الهاوية.

فهذه الصورة تعبر بوضوح عن البدايات الأولى التي بدأ حينها الفيروس بالانتشار وبدأ العالم يتخوف من تفشي الوباء وقد دعم الرسام هذه الصورة المرسومة بنص مكتوب استخدمه المبدع كمادة لترسيخ المحتوى، و" الترسيخ كما يقول "بارث" هو نوع من التلاعب المتبادل بين الصورة والنص مهمته توجيه القارئ نحو مدلولات خاصة

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

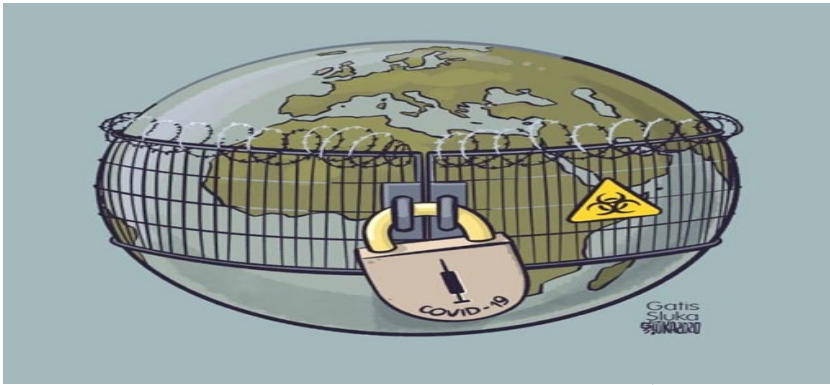
بالصورة وذلك لتثبيت سلسلة المعاني الطائفة¹⁵ فالنص عبارة عن وسيلة إضافية يؤكد بها الرسام الرسالة التي تتضمنها الصورة.

فقد عالج الخطاب الكاريكاتيري مواضيع متعددة تمخضت عن معضلة جائحة كورونا كان أهمها: توصيف وباء "كورونا": أخذت ظاهرة توصيف جائحة كورونا "الحيز الأكبر بين كل المواضيع التي تداولها رواد التواصل الاجتماعي عامة والصحافة خاصة، باعتبار أنّ هذه الجائحة حدث مستجد على الساحة العالمية حيث لم يسبق للعالم أن عرف وضعاً بهذا الشكل الكبير من الخطر الكبير والهائل في الانتشار فكان لا بد على وسائل الإعلام بأشكالها المتنوعة وبكل الطرق المتاحة أن تعمل جاهدة لتصف خطورة الوضع.

وبما أنّ الخطاب الكاريكاتيري يتميز بالمبالغة والتضخيم والذي يعدّ فنّ المبالغة بامتياز وهو فن النقد الساخر¹⁶، فقد كان له دور فعال في التوصيف الدقيق وممتاز للوضع؛ لأنّ المبالغة والتضخيم أمر يتماشى وخطورة الوضع الذي يعيشه الإنسان في ظل جائحة كورونا.

تمثل الكرة الأرضية العالم بأسره، والسياج الذي يلفها يمثل مدى إجراءات العزل القاسية التي فرضها تفشي الوباء في العالم الذي رمز إليه المبدع بالقفل الذي وسم عليه الفيروس "COVID-19" الذي أحكم قبضته على العالم، وقد وضع على السياج إشارة المثلث الأصفر التي تعني "الخطر البيولوجي" وهو شعار يدل عادةً على أي خطر بيولوجي قد تسببه بعض المواد الكيميائية والتي قد تسبب بحروق أو خنق للإنسان.

إنّ هذا التكتيف لرموز الخطر من سياج مسيج بأسلاك شائكة وقفل محكم الإغلاق وكذا وضع إشارة الخطر البيولوجي على السياج هو من باب المبالغة والتضخيم التي يفرضها الحدث الم هول التي يتعرض له العالم فالتعبير بهذا الشكل المبالغ فيه، هو ضرورة لا بد منها حتى يتم وصف حقيقة الأمر المساوية التي يسهل إقناع المتلقي بذلك من خلال الرسم المبالغ فيه الذي لا يستطيع أي فن آخر تجسيده بهذا الشكل الرائع الذي يتجلى في المبالغة من غير تكلف. الصراع الذي يعيشه الإنسان يومياً مع فيروس كورونا وما خلفه من آثار لا متناهية على الفرد والمجتمع في جميع بقاع العالم، جسده بوضوح الرسام في صورة الحلبة التي يقف عليها فيروس كورونا مشخص في صورة



الصباح الجديد، جريدة العراقية، 18 مارس 2020 العدد 4378 عن موقع كارثون سبلسي، ص: 7

المصارع الضخم الواثق من قوته وانتصاره، وقد عبر عن هذه الثقة الكبيرة قوله "هل من منافس" فهو بهذه المقولة يجسد القوة الكبيرة التي يمتلكها الفيروس للسيطرة على الإنسان، أمام حشد من جمهور من الفيروسات المتنوعة التي بقيت

- رضوان بلخيري، سميولوجية الخطاب المرئي من النظري إلى التطبيقي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، س2016م، ص153. ¹⁵

389. ص، "وظائفها تجلياتها" الدوعاجي، علي أدب في السخرية البوجديدي، - علي ¹⁶

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

مذهولة أمام هذه القوة الفيروسية التي لم يستطع الإنسان رغم ما يمتلكه من تكنولوجيا وخبرة في القضاء على الفيروسات على مدار السنين، في المقابل صورة الإنسان المهزوم المحمّر ومغمض العينين وقد تدلى لسانه، صورة تعبر بشكل صريح على أنه إنسان مريض قد أحكم الفيروس عليه بقبضة قوية من ذراعه، فلا يستطيع المقاومة فقد أنهكه المرض.



عدنان محافري، العرب صحيفة عربية صادرة في لندن
11690 العدد 2020/04/27

بهذه الصورة صوّر لنا الفنان خطر القوة الهائلة التي يمتلكها الفيروس، فهو ليس مثل أي فيروس سبق وقد عرفته البشرية من قبل، إنه لا يبقى ولا يذر في جسد المصاب به.

إذا كانت الصورة الكاريكاتيرية السابقة صورت لنا الصراع غير متساوي القوى بين الإنسان وفيروس كورونا، فإنّ اللوحة المقابلة تعبر صراحة وبشكل أكثر وضوح على شراسة خطر هذا الفيروس، إذ أظهره الرسام على هيئة وحش له مخالب حادة يشتاظ غضبا وهو ينهش الكرة الأرضية بكل شرهة، رغم أنّ الكرة الأرضية تحترز منه إذ تضع قناعا للوقاية إلا أنّ ذلك لم يجديها نفعاً، فالفنان قدم لنا صورة قوية التعبير عن خطورة الفيروس الذي لا يرحم.

في الصورة عدة مثيرات فنية تدل على المعاني التي تحقق مستويات التلقي لدى المشاهد منها احمرار عينين الفيروس إذ يدل على مدى الخطر الذي يحمله الفيروس وكذا فتح الفم

على مصرعيه وخروج لسانه الوردي القاتم، يسيل اللعاب منه وهو يلحق الناس بأعداد كثيرة، يدل كل ذلك على



أحمد عالف، صحيفة إسرائيلية

شرهة الشر الذي يحدق بالإنسانية جراء انتشار هذا الوحش الفيروسي القاتل في المقابل صورة الكرة الأرضية التي تبدو مرتعبة من خلال نظرات العينين الذابلة وكذا الدموع التي تتطاير منهما، فرغم أنّ الصورة

الكاريكاتيرية لم يرفقها الرسام بتعليق إلا أنها تكاد تكون ناطقة تقول: "أنا فيروس شرس قاتل لا أعرف الرحمة" هذه العبارة يقرؤها القارئ دون الحاجة لأي نص مكتوب، وهنا يتشكل الإبداع الفني في محادثة الصورة للقارئ. فن الكاريكاتير أداة لنشر الوعي والإعلام بطرق الوقاية: تمتلك الصور قوى خارقة في التأثير على المتلقي، ويعتبر ذلك " من أهم سمات الصورة كونها تمارس إغواء وسحرا على مستهلكيها ومتلقيها بفضل استحواذها على حقله البصري، فهي لا تترك شيئا خارجه إلا وضمته داخل إطارها بغض النظر عن مضمونها وعن الرسالة التي تمررها. وهذا ما يفسر إلى حد كبير وضعيتها في الثقافة المعاصرة"¹⁷، وما تمنحه للخطاب من دلالات متنوعة، كالغواء والاستحواذ والاستمالة وهذا أكبر بكثير مما تقدمه الصورة العادية؛ لأنها تمتلك شيئا آخر أكثر إثارة للمتلقي وهو المتعة التي تحققها السخرية.

لذلك استغل الإعلام التأثير الواسع والفعال الذي أحدثته الصورة الكاريكاتيرية عامة على المتلقي لتحسيس الناس بخطر هذا المرض وإعلامهم بطرق الوقاية منه وكذا إجبارهم على استخدام إجراءات العزل للحد من انتشاره، وهذا لما تمتلكه الصورة الكاريكاتيرية من مثيرات فنية تخاطب النفس البشرية بأسلوب فني يحقق المتعة، وفي الوقت نفسه الوقوف على الحقائق بشكل مرن وبسيط، إذ تبقى "الصورة الوسيط الأكثر شيوعا في العالم المعاصر نظرا لما تتيحه من إمكانيات لا متناهية للتواصل والدعاية، ومن وسائل لا محدودة للتأثير في الرأي العام"¹⁸، كذلك إنَّ استخدام خطاب السخرية يقلل من وطأة حدث "جائحة كورونا" على المتلقي، وتسهل عملية الاقتناع والتقبل فمن طبيعة النفس البشرية أن تكون أطوع و أكثر انقيادا كلما كانت في حالة راحة واطمئنان نفسيين، أكثر بكثير مما تكون في حالة ضغط واستياء.

هذا التحليل يؤكد الانتشار الواسع للصور الكاريكاتيرية، التي لا يعرف الحدود، لذا تناولت موضوع الدعاية للقضاء على الوباء فقد انتشر "هاشتاج"¹⁹ "خليك بالبيت عبر مواقع التواصل الاجتماعي وعلى وسائل الإعلام بكل أنواعها المرئية والمسموعة وغالبا ما كان الهاشتاج مرفوق برسم كاريكاتيري يدل على محتوى الهاشتاج، وأداة داعمة لترسيخه في الأذهان، هذه بعض الصور الكاريكاتيرية التي رافقت هذا الهاشتاج.

نلاحظ الرسمة المقابلة "هاشتاج" "خليك بالبيت" استعمل الرسام حرفي الألف واللام لكلمة بيت بمثابة مقبضي المقص الذي يقسم الفيروس إلى نصفين وإنَّ هذا الإجراء في استعمال هذين الحرفين له دلالة سميائية مهمة يريد الرسام من خلالهما أن يبين أنَّ



¹⁷ - عبد العالي معروز، فلسفة الصورة، ص 147.

¹⁸ - نفس المرجع، ص 145.

¹⁹ - كلمة هاشتاج هي عبارة عن كلمة أو عبارة يسبقها رمز # لتمييز النص الموالي لها، وهو يساعد في انتشار المعلومات بين أكبر عدد من المستخدمين، و طريقة لتنظيم البحث في تويتر أو فيس بوك أو غيرها من وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة.

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

الاحتماء بدعائم البيت هو الذي سيقضي على المرض كذلك طريقة القص (القطع إلى نصفين) لها دلالة لغوية على قوة البتر ففي اللغة عندما نعبر عن الأمر الذي لا رجوع له نقول قطع وقسم مثل قولنا "قطع دابره" أو قولنا "قسم ظهره".

صورة البيت في زمن الوباء أضحت الصورة النمطية لفكرة الحجر والاحتماء لذا نجدها تتكرر بأشكال مختلفة ضمن الصور الكاريكاتيرية الموجه للإعلام والوقاية من الوباء، وهذه الصورة النمطية تسهل عملية الفهم والإبلاغ،

وبالتالي تساعد على عملية تحقيق المسعى الإعلامي؛ لأنّ "الإدراك الجزئي لجانب من الموضوع ثم محاولة تضخيمه وإبرازه بشكل مبالغ فيه، قد ينتج التضخيم والمبالغة في فن الكاريكاتير عن محددات وظيفية له، بيد أنّ هذه المبالغة في الصورة تأتي نتيجة

عمليات نفسية وإدراكية حتمية لدى الإنسان"²⁰.

في الرسمة المقابلة كذلك نلاحظ هاشتاج "خليك بالبيت" مرفوق بلوحة لمجموعة من الأشخاص يضعون كمادات واقية يمثلون أسرة تضع البيت كدرع واق من الهجمات القوية والمتتالية لفيروس كورونا وتبدو سمات الخوف بارزة على وجوههم، هذا النوع من الكاريكاتير يوجه المتلقي بشكل مباشر إلى ضرورة اللجوء إلى طريقة العزل المنزلي لدرء خطر الفيروس.

بينما في الصورة الكاريكاتيرية تظهر الأسرة من وراء زجاج النافذة مسرورة تهزأ من الفيروس، يدل على ذلك حركة التلويح باليدين المرفوعتين من قبل الأب وابنه وراء الأذنين، بينما بقي

الفيروس يتجول في الخارج وحده وهو في حالة غضب شديد، تدل كل علامة على حالة معينة فالعرق المتصعب على وجه الفيروس يدل على التعب الشديد بسبب البحث المتواصل عن



كاريكاتير صحفية كويتية.. خطك بالبيت القضاء على كورونا الثلاثاء، 14 أبريل 2020



طرطوس اليوم، أبريل 2020



اليوم السابع، صحيفة إماراتية، 27.03.2020

²⁰ - رضوان بلخيري، سيميولوجية الخطاب المرئي من النظري إلى التطبيقي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، "1، س2016م، ص22.

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

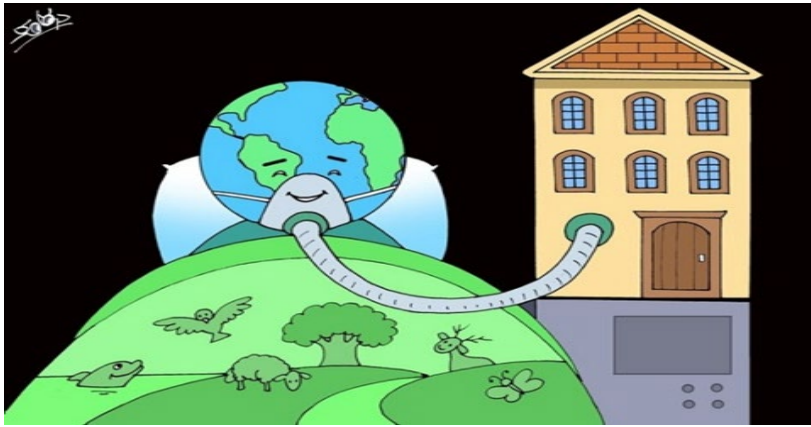
فرصة سانحة ليقترح أجساد الناس فيصيبهم الوباء دون جدوى، مما سبب له حالة من الغضب عبر عنها الفنان بتقطيب الحاجبين، وحالة الأسنان المشدودة تدل على الشعور بالندم والاستياء.

يحتاج الإعلام عامة إلى مؤثرات مختلفة حتى يحقق التفاعل المطلوب لدى المتلقي وإنّ هذه الإمكانية أصبحت متاحة في ظل التطور الهائل للوسائل الرقمية التي منحت للمبدعين تقنيات متنوعة ساهمت في تطوير الإبداع الفني للرسم الكاريكاتيري، "إنّ الصورة في الفن الحديث هي اشتغال على المواد، وتطويع لها على نحو يجعلها معبرة بنفسها، تبدو وكأنها تخلصت من الشوائب ومن الزوائد، وكل ما من شأنه أن يعلق بها من ابتذال من جراء الاستعمال التجاري أو الدعائي أو الإعلامي. يعمل الفن على إبراز مادية الصورة كما وحجما ومساحة، مثلما يعمل على زيادة قوتها التعبيرية لونا ونورا ووهجا، وأخيرا يعمل على تحويلها إلى أشكال من النقط إلى الخط إلى الإطار"²¹، لذا الصورة الفنية المعاصرة لا تحتاج الكثير من النصوص التفسيرية أو التعليقات الموازية لإبراز المعنى فكل المؤثرات الفنية تضطلع بتلك المهام، إذ لها قوة النفاذ إلى أقصى حد ممكن.

الصورة الكاريكاتيرية المقابلة نموذج يتميز بهذه الخصائص فتدرج اللون الأخضر للغطاء الذي تلتحف به شخص الكرة الأرضية والمزركش بالأشجار والنباتات له دلالة على الأمن والحياة الرغيدة في ظل طبيعة نقية لن يتحقق ذلك في زمن الكورونا إلا إذا اتخذت البشرية البيت ملجأ لها فهو بمثابة جهاز تنفس للإنسان يضمن به بقاءه، فوظف الرسام مجموعة من العلامات ذات دلالات ثقافية، فقد أصبح الإعلان "في عصر التقني بناء ثقافيا مركبا ومبارا، تجتمع فيه مؤثرات فنية يصعب حصرها نحو الصورة والأيقونة والرمز واللون واللغة... إلخ وتجاوزت وظيفة

الإعلان في العصر التقني الإخبار والإعلام إلى التأثير والإثارة"²².

الطبيعة الخضراء ترمز إلى الحياة السليمة الصحية والغطاء دلالة على الحماية والسرير يرمز إلى الراحة والسكينة التي يطلبها المريض أما البيت فهو الخلاص والملاذ الموصول بالكرة الأرضية عن طريق أنبوب الحياة.



تسريبات نيوز، 19 مارس 2020

تتصف الصورة الكاريكاتيرية بالحيوية والديناميكية لما تحتويه من توظيف لعناصر الإثارة سواء الداخلية مثل الألوان وشكل الخطوط وغيرها من التقنيات الفنية وهناك عناصر للإثارة خارجة عن الصورة لا تقل أثرا عن تلك المثيرات الخارجية، وهذا الشيء الذي "يميزها عن باقي الصور التي يمكن تمثيل الحركة فيها عن طريق الإيحاء فقط، فالصورة المتحركة تمتاز بخصائص نفسية وجمالية ومعرفية تستطيع أن تترجم مختلف الدلالات

²¹ - عبد العالي معروز، فلسفة الصورة، الصورة بين الفن والتواصل، ص 171.

²² - عمر عتيق، ثقافة الصورة، دراسة أسلوبية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، ص 2011م، ص 99.

العلمية"²³، فالصورة الكاريكاتيرية في زمن الوباء تستثمر التراث القصصي العالمي في توجيه الرأي العام نحو ضرورة الالتزام بإجراءات الحجر كما تتجلى في الصورة المقابلة التي تظهر فيها بطلت القصة الأميرة النائمة من أعلى البرج وقد استيقظت من سباتها الطويل وهي تضع كمامة الوقاية لكن رغم الشوق إلى لقاء الحبيب فهي ترفض أن تسدل شعرها للبطل، عملاً بإجراءات الوقاية.

يشعر المتلقي عندها بأنّ هناك حركة متنامية في اللوحة استمدتها المبدع من خلال تعالق الصورة بنص القصة، وتوظيفه الحور، "من هذا المنطلق سيتم النظر إلى المعنى بوصفه نتيجة اللقاء بين نصين النص المقروء ونص القارئ. ومن خلال هذا



التعبير نريد أن نقول إن القارئ بدوره، يمكن أن يحدّد بوصفه نصاً في نسق"²⁴، فالمتلقي بما أنه على اطلاع مسبق بأحداث القصة يصبح عندها طرفاً مشاركاً في صناعة وتحليل الأبعاد الدلالية للصورة، وإنّ هذه العملية تساهم بشكل فعال في التأثير على المتلقي.

إنّ تثبيت إجراءات الوقاية من وباء "كورونا" تطلب تكاثف جهود كبيرة على أعلى المستويات مما جعل الحكومات تقيم لذلك حملة دعائية كبيرة.

جندت فيها كل الوسائل المتاحة، فكان للصورة الكاريكاتيرية الحظ الأوفر ضمن ذلك، وقد ركز الخطاب الكاريكاتيري على التضخيم والمبالغة في رسم وسائل الوقاية قصد تهويل المرض مع تثبيت وسائل وشروط الوقاية منه، تارة باستخدام الخطاب المباشر، مثلاً إظهار وسائل الوقاية وتبيين فاعليتها وتارة أخرى باستخدام الخطاب المضاد ف"في التضاد يبلغ المستحيل مطلبه، ولئن تصف أمراً ما بوصفين متناقضين يعني أن تخرجه من دائرة الوجود، لتضعه وجهاً لوجه مع الواقع أو لدى المتلقي، فالساخر يجمّد اللحظة التي وقع فيها الأمر المثير للعجب والاستهزاء، يعلّب تلك اللحظة ثمّ يزوجها للقارئ حتى يسلمه مكتوفاً إلى تساؤلاته أمام الحدث. هذا التناقض إن استشرى في الخطاب وتوفّرت معه شروط المشهدية والصورة، فطرح الخطاب الثنائي للصوت هو دائماً ذو حوار داخلي"²⁵، وهذا بإظهار النتائج السلبية عند عدم الالتزام بإجراءات الوقاية، مثل ما هو موضح في الصورة الكاريكاتيرية التالية:

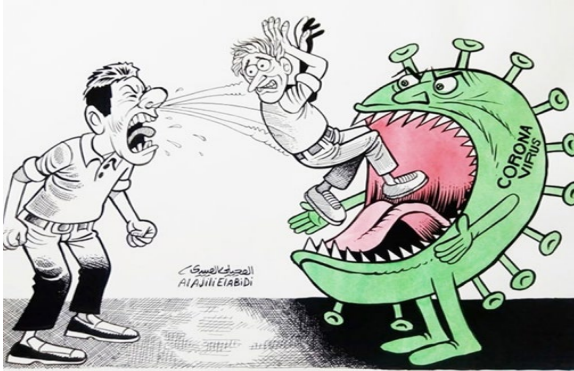
²³ - رضوان بلخيري، سيميولوجيا الخطاب المرئي من النظري إلى التطبيقي، ص 26.

²⁴ - عبد الله بريسي، مطاردة العلامات بحث في السيميائيات - الإنتاج والتلقي، - كنوز المعرفة، عمان، ط 1، س 2012م، ص 140.

²⁵ - ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: حمد برادة، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط 4، ص 94.

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

حيث يظهر رجل يسعل والرذاذ يتطاير منه وكيف دفع هذا الرذاذ الرجل المقابل له إلى فم الفيروس المفتوح على مصرعيه من أجل أن يلتقمه



في الصورة هناك تضخيم واضح لفم الفيروس للدلالة على الشراسة، وكذا هناك رمز المنطقة السوداء التي يقف عليها الفيروس التي تدل على الظلام والموت والمصير المجهول، وكذلك الدفعة القوية التي تلقاها الرجل من الرذاذ تدل على أن الرذاذ يشكل خطرا كبيرا على الأشخاص، ففي هذا السياق يجعل المتلقي يشعر بالخطر ويدفعه بشكل غير مباشر لاستخدام كمادات الوقاية، أي يتخذ إجراء مضاد لذلك.

صور مواجهة الغباء الاجتماعي: كان لموضوع الغباء الاجتماعي التداول الأكبر بين الرسومات الكاريكاتيرية التي عالجت موضوع الكورونا باعتباره يشكل نقطة بداية المفارقات التي تجلت بوضوح داخل المجتمعات عامة والمجتمعات العربية خاصة، وبما أنّ الغباء هو أحد العيوب التي يعاني منها المجتمع فإنّ الخطاب الساخر هو أحد الأساليب المهمة التي قد تعالج هذه الظاهرة وهذا ما يعرف بـ"التوريط ويعني أنّ الخطاب الساخر غير الخطابي الإخباري الذي يحرص على مطابقة الخطاب للواقع حتى لا يتهم بالكذب والمبالغة، وغير الخطاب الوعظي الذي يتصدى للعيوب ويسعى إلى تقويم الاعوجاج. فالخطاب الساخر يسعف الاعوجاج ويصفق له ويمده بالوسائل التي تجعله أكثر اعوجاجا، حتى يكشف نفسه بنفسه"²⁶. فهناك مجموعة كبيرة من الرسومات الكاريكاتيرية التي اختزلت ظاهرة الغباء وعدم المبالاة وعدم الوعي بالخطر الذي يشكله الوباء على المجتمع، رغم كل حملات التوعية التي قادتها الحكومات.



تظهر في الصورة المقابلة الطواقم الطبية وهي تبذل قصارى جهدها لسد الباب أمام الفيروس الذي يمتلك قوة كبيرة للهجوم، والتصدي لمحاولات الدفاع. تعبر الصورة عن مدى التحدي الذي تبذله الطواقم الطبية لمجابهة انتشار هذا الفيروس العنيد.

²⁶ - النص السردي الجاحظي، وحدود التأويل، ضمن كتاب فلسفة السرد المنطلقات والمشاريع، تحت إشراف اليامين بن تومي، دار الأمان، الرباط، ط1، س2014م، ص220.

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

بينما في الطرف الآخر من الصورة تظهر المحاولة الفاشلة للأمن في سد الباب، وأمام رفض الناس هذا الإجراء. تجسد الصورة الغباء الصارخ الذي يتسم به المجتمع العربي، فالصورة الموالية تعبر عن قوة الجهود المبذولة لعناصر الأمن في القضاء على الوباء بتوعية الناس بإجبارهم على الالتزام بالحجر الصحي، يدل عليه مشهد غلق الباب بقوة وبمشاركة عدد من عناصر الأمن لكن دون جدوى؛ لأنّ هناك قوة معاكسة من مجموعة من الناس تريد أن تمنع عملية الغلق، وبما أنّ السبب معروف لمحاولة غلق الباب وهو منع الخطر عن الناس فإن رفض هذا الإجراء من المجتمع رغم معرفتهم بذلك الخطر. فهذا الفعل الموازي ما هو إلا دليل على غباء المجتمع؛ فمهما حذرت الحكومات من الخطر فإن المجتمع يبقى لا يأبه بالنتائج وغير واع بخطورة الأمر.

في الصورة الكاريكاتيرية الموالية يجسد الرسام مدى استفحال الغباء بين أفراد المجتمع العربي بصورة الرجل العربي حيث عبر عنه المبدع الكاريكاتيري بالزي العربي الذي لم يقتنع بأي وسيلة من وسائل التوعية، والتي عبر عنها الرسام باللوحات الملقاة على الطريق ومنها شعار خليك بالبيت والتي تعداها المواطن العربي كلها ضارباً بها الأرض.



عبد الله الجابر من صحيفة مكة الصادرة 13/3

هذا يدل على العقلية العربية العنيدة المتعجرفة التي أوجدها غباء متجذر ممزوج بالغرور، فما كان على الحكومات إلا أن تلجأ إلى فرض حضر التجول فقد

يكون السبيل الوحيد الذي قد يحد من انتشار الجائحة.

فرض التجول على الناس لم يكن حلاً في نظر رسام الكاريكاتير كغيره من الوسائل التي لجأت إليها الدول العربية للحد والقضاء على الوباء في ظل هذا الغباء التي يستوطن عقلية المواطن العربي وما كانت جائحة كورونا إلا أداة للمصادقة على توطنه في العقل العربي، ففي اللوحة الكاريكاتيرية التالية يوضح المبدع ذلك بكل وضوح، ففرح الرجل العربي بنفاده من الحجر والتحايقه بأصحابه للعب، لا لشيء مهم، وهو يحمل معه الفيروس لأنه بالطبيعة لا يلتزم بإجراءات الوقاية منه.



إنّ هذا يدل على فظاعة المأساة التي يحيهاها المجتمع العربي، فصورة النعش التي تُرى من النافذة، والتي تدل على الموت الذي هو من النتائج المحتملة

للوباء، وإنّ ذلك لم يحرك ساكناً في المجموعة التي تجتمع من أجل اللعب، وصورة النعش مأخوذة من فيديو انتشر بشكل واسع عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهو صورة نعش يحمله مجموعة من الأشخاص يلبسون



قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

طواقم رسمية يرقصون على أنغام الموسيقى، وهي وسيلة مبتكرة لتوديع الموتى في إفريقيا وهذه الصورة المستوحاة من الفيديو تعبر بصراحة عن عبثية ثنائية الحياة والموت التي تبعثرت واستفرغت من محتواها، إذ أنّ الإنسان لم يعد يكثر بالموت، ولا يعطي قيمة للحياة. هذا كله يوحى إلى العقلية الفارغة غير المسؤولة، التي لا تفكر في عواقب الأمور، فهي شبيهة بعقلية الرجل غير السوي.

خطر الشائعة في زيادة تأزيم خطر الوباء: استغلت فئة من الناس خوف العامة من خطورة المرض في نشر الشائعة لأغراض كثيرة منها خلق البلبلة في أوساط الشعوب أو لمجرد جمع عدد كبير من المشاهدات والإعجابات (اللايكات) على مواقع التواصل الاجتماعي.

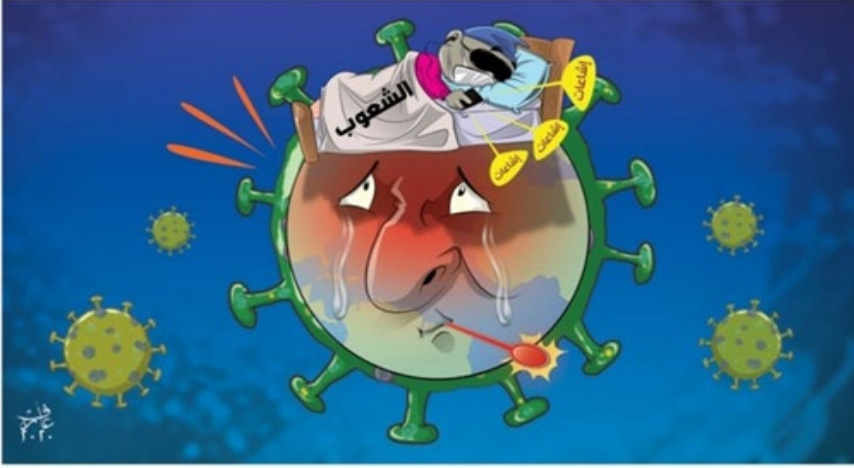
لكن مهما كان السبب الداعي لترويج الإشاعة يبقى ضررها الأکید على نفسية المتلقي مما ينعكس سلبا على صحته أو حتى على ثقته في الطواقم الطبية، أو في مدى التزامه بإجراءات الوقاية، لذا أخذ الفن الكاريكاتيري على عاتقه مهمة مكافحة الإشاعة، بتبين أثارها على الفرد والمجتمع وكذا نشر نوع من الحصانة الفكرية بين أوساط العامة حتى تمنع انتشارها.

الصورة الكاريكاتيرية التالية تجمع بين الفيروس المنتشر بالنصر وبين مروج للشائعات. يرمز الرسام في هذه الصورة إلى ضرورة الحذر من وسائل التواصل الاجتماعي مستعمل رموز مواقع التواصل التي تخرج من الهاتف النقال، فالصورة رغم بساطتها تقدم رسالة تحذيرية عميقة الأبعاد بتشخيص الفيروس وإظهار نشوته ولعابه الذي يسهل للدلالة على الافتراض، والنص الذي أرفقه الكاتب بالصورة جاء على لسان الفيروس يترجم خطر الإشاعة في مساهمتها في نشر الوباء وبقائه يزهو بيننا.

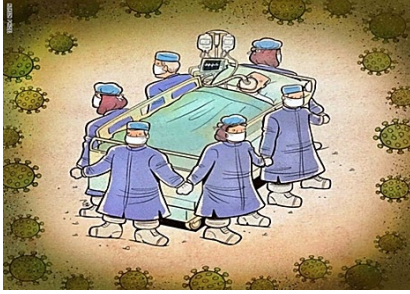


ج.الملك
ASD

أما في الصورة المقابلة فيبين الرسام مدى إقبال الناس على احتضان الشائعات، فقد وجدت البيئة الخصبة لذلك الفراغ الذي رمز إليه الرسام بالنوم وكذا تهافت الناس على تصفح مواقع التواصل الاجتماعي بشكل كبير جدا بفعل الحجر الصحي المفروض ورغم محاولات القضاء على الفيروس الذي يبدو في الصورة في حالة مرضية إلا أن الناس مازالت تحيا على وقع خطره بسبب كثرة الشائعات المروج لها.

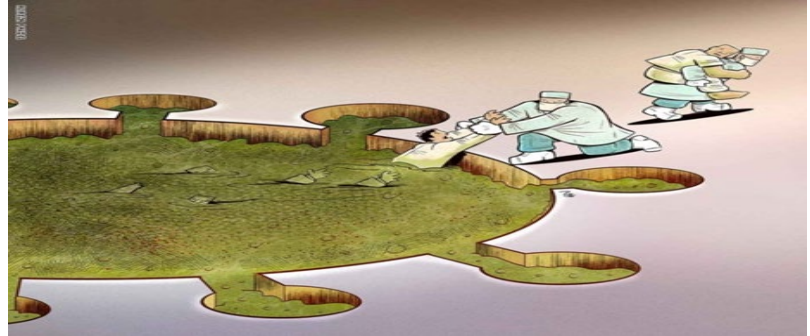


الصورة الكاريكاتيرية تعبر عن الحياة اليومية في زمن الكورونا 1. الوضع الطبي: لاقت المجهودات الطبية إشادة كبيرة للاعتراف بالعمل الجبار المبذول من أجل إنقاذ الكثير من الأرواح واقتحام الصفوف الأمامية في الحرب ضد الوباء فقد كانت بمثابة دروع بشرية أمام هذا الفيروس القاتل.



فالصورة التي أمامنا نموذج يعبر عن ذلك بتشكيل أفراد الطاقم الطبي وهم يرتدون الزي المخصص لهم سياجا يحيط بسرير المريض وهم يدا بيد، وقد حاطت بهم مجموعة من

فيروسات كورونا من كل حذب وصوب. المستنقع عامة له دلالة على السقوط والهموم والضياع والتخبط في المشاكل ويظهر في هذه الصورة على شكل فيروس "كورونا" فالفنان يريد تبين المعاناة التي يعيشها الإنسان في زمن الكورونا والطواقم الطبية هي وحدها من تتولى عملية الإنقاذ التي تكابدها الطواقم الطبية، يدل على ذلك الطبيب الذي يرفع أحدهم على ظهره، إن المعاني الدلالية التي تتوهج بها هذه الصورة، هي صورة صادقة للوضع الطبي رغم بساطتها.



2. الوضع الاقتصادي: أحدثت الأوضاع الاحترازية من وباء "كورونا" عدة نتائج سلبية كان أهمها تدهور الحالة الاقتصادية عامة على الصعيد الفردي والعالمي، وقد كانت الصورة الكاريكاتيرية حاضرة بشكل قوي للتعبير عن هذا الوضع المأساوي الاقتصادي.

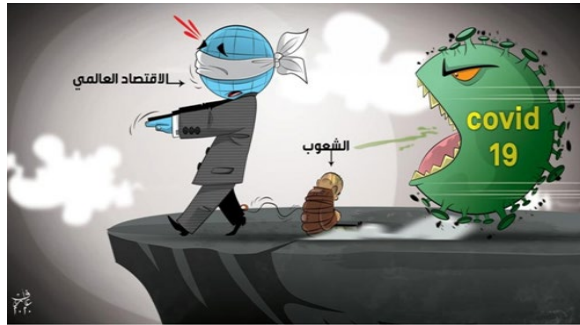
قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

اخترنا من بين عدد كبير من الصور الكاريكاتيرية بعضها التي استطاعت إلى حد كبير تجسيد الوضع الراهن باستعمال خطاب السخرية، فالصورة المقابلة تظهر المرأة العجوز التي تدل على أوروبا و قد التصقت بجسدها فيروسات الكورونا وهي تزحف بصعوبة خوفا من الانزلاق إلى الهاوية وقد بترت إحدى رجليها التي ترتدي فيها الحذاء الذي يمثل به الرسام "إيطاليا" إذ تشبه خريطتها هذا النوع من الأحذية، فالصورة مملوءة بالإحباطات الرمزية فاللون الأحمر دلالة على الموت وبتر الرجل يمثل ما أصابة إيطاليا وهي جزء من أوروبا و قد شهد أكبر حصيلة للإصابة بالفيروس والموت، وهناك مؤشر آخر يدل على المقصود بالمرأة العجوز هو رمز علم الاتحاد الأوروبي على فستان المرأة والتي تظهر على أنها لا تزال تعاني من الوباء فهي تزحف وتحاول بكل قوة أن لا تسقط.



الصورة الكاريكاتيرية المقابلة تأخذنا إلى جزء آخر العالم "الولايات المتحدة الأمريكية" مجسدة بشخص الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" وكذلك

خريطة أمريكية وهي تقف مذعورة تريد أن تحتفي بترامب من الفيروس الذي يلحق الخريطة بشراهة، وهو على هذه الصورة الكثير من أهبة التهامها، حشد الرسام في الرموز التي تدل على الخوف وارتجافهما في محاولة من الرئيس الخريطة المرعوبة وساقها عليهما وهذا يدل على اهتراء كل الجهود التي تبذلها الإدارة الاقتصاد من التهاك.



تنقسم الصورة التالية إلى ثلاثة أجزاء لكن كلها ترتبط ببعضها البعض، حيث يبدو الاقتصاد العالمي الدولي في اللوحة المقابلة رجلا يضع الكمامة، ورغم ذلك يسير نحو الهاوية، وقد ربط مصيره (السقوط) بمصير الشعوب؛ حيث ربط إحدى قدميه بحبل يوثق الشعوب، التي تظهر في صورة الرجل الموثوق بحبل يجلس على الأرض مهزوما مغلوبا على أمره إثر ما سببه الفيروس من مآسي، فالفيروس يظهر في القسم الثالث من الصورة فاتحا فمه يرش رذاذه القاتل مباشرة على الشعوب، اللوحة تعبر بشكل منطقي عن معاناة الشعوب في زمن الكورونا.

النفط يعتبر من أهم المواد الاقتصادية في العالم المعاصر، لذا أي اختلال في أسعاره سيؤثر حتما على الاقتصاد العالمي بشكل مباشر، فهو علامة أيقونية للاقتصاد العالمي، والسهم الأحمر الذي هو بين الصعود والهبوط يدل

قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

على التذبذب في الأسعار في بداية الجائحة، لكن سرعان ما حدث له سقوط حر يدل على ذلك تجاه السهم الناظر وقد جعله الفيروس لعبة للترحلق، هذا الخطاب الساخر يوجه رسالة قوية وخطيرة للرأي العام العالمي، إذ يحذر من انهيار الاقتصاد الدولي العالمي الذي قد يدمر العالم بأسره .



الصورة الكاريكاتيرية لم تهتم بالاقتصاد العالمي فقط إنما وجهت نظرها كذلك إلى الاقتصاد الفردي الذي تهالك بسبب ما فرضته الحكومات من إجراءات للحجر، ففي اللوحة التالية رمز لذلك من خلال صورة الفيروس وهو يلتمس بشراسة المشاريع الصغيرة الممثلة بشخصية الورقة وقد أشار الرسام إليها بالاسم المكتوب على جنب.

إنّ هذه اللوحة رغم أنها تتسم بصفة شفافية القراءة، إلا أنها تختزل داخلها معاناة كثيفة مما يعيشه المواطن البسيط من ضياع وخوف وشتات في زمن الكورونا.

بساطة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الوباء:



يمكن أن نستخلص من النماذج الكاريكاتيرية التي تناولناها بالتحليل والدراسة والتي تطرح موضوع جائحة "كورونا" أنّ الفن الكاريكاتيري يظل الفن الأقدر على النفاذ إلى أعماق القضايا الإنسانية، طرحا ومعالجة لما يملكه من أدوات تقنية، وأشكال تعبيرية تساهم بشكل فعال في معالجة

القضايا الحساسة والتي تمس شريحة كبيرة من المجتمع، بحيث يختزل القضايا ويعتمد المباشرة في المخاطبة والبساطة في العرض، هذه الخصائص مجتمعة تسهل على الفنان استثمار أسلوب النقد الساخر والمتلقي يقبل عليه بكل عفوية ويتلقاه بالابتسامة والضحك، دون أي حرج، لذا ركز الفنانون العرب عليه منذ بداية ظهور الجائحة فتعاطوه بكل المواضيع المختلفة التي صاحبت تفشي الفايروس، كان منها تحديد خطورة الوباء، وتبيين أهمية الالتزام بإجراءات الوقاية والحجر المنزلي إلى تعزيز صورة الطواقم الطبية بين أوساط العامة وقضايا أخرى أفرزها الحجر الصحي وكان لها تأثير واضح على المجتمع الإنساني بشكل عام.



قراءة الصورة الكاريكاتيرية في زمن الكورونا

لائحة المراجع:

1. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، س2002م.
2. النص السردي الجاحظي، وحدود التأويل، ضمن كتاب فلسفة السرد المنطلقات والمشاريع، تحت إشراف اليامين بن تومي، دار الأمان، الرباط، ط1، س2014م.
3. رضوان بلخيري، سميولوجية الخطاب المرئي من النظري إلى التطبيقي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، س2016م.
4. ضياء الحجار، الكاريكاتير في الصحافة العراقية، ضمن تموز مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية العرقية في مالمو، العدد 54، شتاء 2012م.
5. عبد العالي معزوز، فلسفة الصورة، الصورة بين الفن والتواصل.
6. عبد الله بريسي، مطاردة العلامات بحث في السيميائيات – الإنتاج والتلقي-، كنوز المعرفة، عمان، ط1، س2012م، ص140.
7. علي البوجديدي، السخرية في أدب علي الدوعاجي، "تجلياتها ووظائفها".
8. عمر عتيق، ثقافة الصورة، دراسة أسلوبية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، س2011م.
9. فاطمة حسين العفيف، السخرية في الشعر العربي المعاصر محمد الماغوط، ومحمود درويش، وأحمد مطر نماذج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، أربد، الأردن، 2017.
10. كاظم شمهود، لمحات من تاريخ فن الكاريكاتير، ضمن تموز مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية العرقية في مالمو.
11. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: حمد برادة، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط4.
12. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، ص2012م.
13. ابن منظور، لسان العرب، مادة (س خ ر)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج3.
14. صلاح فضل، قراءة الصورة وصور القراءة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، س2014م.
15. The Shorter oxford English Dictinary on Historical principles, prepared by William Little,H ,W :Flower,J, coulson, revised and Edited by C.T onios, oxford at the clarrendon press (1956) P 1045